



التراث التفسيري لمفهوم "القوامة" بوصفه صياغة تأويلية

أميمة أبوبكر

تناقش أميمة أبوبكر في هذا الفصل "القوامة" بوصفه مفهوماً يكرس لسلطة الرجال وحقوق الجندر المبنية على التراتبية داخل الأسرة. وتوثق الباحثة التغيرات البارزة التي طرأت على فهم الآية 34 من سورة "النساء" مبيّنة كيف تطورت تفسيرات الجملة الأولى في الآية "الرجال قوامون على النساء..." إلى بنى أبوية مستقلة (ومنفصلة عن سياقاتها).

تقدم أبوبكر في الجزء الأول من هذا الفصل تحليلاً للمراحل الخطابية الأربعة التي صاغ فيها المفسرون مفهوم القوامة على مدى عشرة قرون من الزمان، حيث تحولت صفة "قوامون" إلى مفهوم معياري توجيهي مبني على بنية نحوية وصرفية متعلقة باستخدام المصدر بدلاً من الصفة. وقد شهدت المرحلة الثانية ترسيخاً للمفهوم التراتبي السلطوي من خلال صياغة حجج ترسخ لتفوق مكانة الرجال ودنو مكانة النساء. أما المرحلة الثالثة فقد شهدت توسيع المفسرين لمفهوم "القوامة" بربطه بفكرة الدرجة في الآية 228 من سورة "البقرة" وبعض الأحاديث المختارة. أما المرحلة الأخيرة التي تزامنت مع مقدم الحداثة فقد شهدت عملية ربط مفهوم "القوامة" بمفهوم الحياة المنزلية وفطرة النساء. وتبدأ أبوبكر تحليلها من الطبري في القرن العاشر ثم تتناول عدداً من المفسرين القروسطيين الذين تلوه مثل: الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والقرطبي، وابن كثير، وصولاً إلى الإمام السيوطي في القرن السادس عشر. وتنتهي الباحثة عند التفسيرات الحديثة مثل تفسيرات: الشيخ محمد عبده، وسيد قطب، ومحمد متولي الشعراوي.

أما الجزء الثاني من الفصل فتعرض فيه أبوبكر لمناهج التفسير التي تتبناها النسويات المعاصرات والإصلاحيون المعاصرون المسلمات والمسلمون في تناولهم لفكرة "القوامة". ويمكن تلخيص هذه المناهج فيما يلي: هناك منهج يتناول مفهوم "القوامة" بوصفه فكرة مشروطة ومتغيرة، أو بفهم المصطلح عن طريق وضع "القوامة" داخل السياق النصي وتفسير المفهوم في سياق مجموعات متكاملة من الآيات، وفي ضوء توجه القرآن العام نحو ترسيخ أفكار غير أبوية. كذلك يمكن فهم فكرة "القوامة" في سياق منظومات المبادئ الأخلاقية الرحبة في القرآن، كما يمكننا تناول المفهوم عن طريق تجاوز النص كلية. وتبرز أبوبكر الاستراتيجيات النصية التي ينطوي عليها كل من هذه المناهج حيث تجنح جميعها نحو تجريد مفهوم "القوامة" من معاني الهيمنة والسلطة، وكسر مركزيته في السياق الأكبر لفكرة الزواج في الإسلام، إلى جانب حصر رقعة تطبيقه بالسياقات المحددة المشار إليها في الآيات القرآنية المعنية.

تختتم أبوبكر الفصل قائلة إن "القوامة" في الآية 34 من سورة "النساء" لا تعني "علو المرتبة ولا التمييز الأخلاقي ولا التسلط الأبوي ولا التفضيل الإلهي، كما أنها ليست سلطة ولا تسيد ولا هي حق مطلق وغير مشروط في التحكم والقيادة. وكذلك فإنها ليست مكانة شرفية ثابتة ولا امتياز في الإنفاق

ولا حق حصري في كسب المال والتفرد بالإنفاق." وتفتتح الباحثة إمكانيات تفسيرية أخرى تستحق المزيد من البحث، كما تؤكد أنه بإمكان الأبحاث المستقبلية أن تهتم بصياغة مفهوم القوامة بصورة أكثر شمولية وإدراكاً لقضايا الجندر.